William L. Cleveland, **The Making of an Arab Nationalist: Ottomanism and Arabism in the Life and Thought of Sati' al-Husri** (Princeton University Press, Princeton, 1971).

اول ما يتبادر الى الاذهان عندما يقرن اسم ساطع الحصري بفلسطين ، عبارته الشهيرة « سئلت لماذا خسرنا فلسطين ونحن سبع دول ، فاجبتهم خسرناها **لاننا** سبع دول » . ومع ان الحصري لم يخصص كتابا من بين انتاجه الغزير ليعالج فيه القضية الفلسطينية بتفصيل ، الا ان الباحث الامريكي وليم كليفلند لا يقلل من اهمية مساهمته في القضية ، اذ يقول في ص ١٣١ من كتابه : « لسم يعالج الحصري مشكلة فلسطين باسهاب كما فعل سائر القوميين العرب . فهو لم يؤكد على ضرورة المعركة الحاسمة ، او يتوسع بالحديث عن فظائع الاسرائيليين ، فطريقته اعمق من ذلك : انه يكرر دوما حتمية الوحدة العربية ، بما في ذلك فلسطين، معتبرا دوره في تحرير الارض دور الدعائي وليس المخطط للعمل المباشر . ففي تقرير قدمه الى المشتركين بمؤتمر بلودان حول القضية ، اقترح برنامجا للتصدي لادعاءات الصهيونيين يتضمن نشر المعلومات في الغرب والشرق ، وبين ابناء الجيل القادم الذي سيواجه اعظم تحد من **الصهيونية** ». وفي ص ٧٥ يذكر كليفلند ان الحصري دعا العراق ابان الثورة الفلسطينية في الثلاثينات الى اعتناق مبدأ الانحياز ، والى الضغط على الدول الغربية من اجل نيل التنازلات منها بالنسبة لفلسطين وسورية . وفي الوقت الذي عارض فيه نوري سعيد ارسال الاسلحة الى فلسطين لئلا تستعمل هناك ضد الجنود البريطانيين ، طالب الحصري بارسالها وندد بخضوع نوري التام لبريطانيا ، مما جر عليه نقمة النظام الحاكم في العراق ،الذي وجد في تأييده لحكومة رشيد عالي الكيلاني الوطنية عذرا في سحب الجنسية العراقية منه .

ان اهمية كتاب كليفلند تكمن في تتبعه للنمو الفكري لدى ساطع الحصري ابتداء من ايام شبابه في العهد العثماني ، عندما كان احد المؤمنين بوجوب بقاء الدولة العثمانية ، الى حين اكتشافه القومية العربية بعد الحرب العالمية الاولى وتكريسه الجزء الاكبر من حياته لخدمة وترويج هذه الفكرة كمؤلف ومرب . وينقسم الكتاب الى قسمين ، اولهما يتناول حياة الحصري ، والثاني يركز على ارائه في القومية العربية . وقد عاش الحصري حياة غنية بالتجارب الفكرية والعملية ، اذ كان ابوه قاضيا من حلب يتنقل بحكم منصبه في الجهاز الحكومي بارجاء الامبراطورية العثمانية ، فولد ابنه ساطع في صنعاء عام ١٨٨٠ وتعلم في المدرسة الملكية في استنبول حيث برز في الرياضيات واللغة الفرنسية . وعبر هذه اللغة اكتشف الحصري روائع الفكر الاوروبي وتراثه العلمي . وبعد تخرجه عين مدرسا في ولاية يانيه التي تقع اليوم بين اليونان والبانيا ، فمكث في البلقان ثمانية اعوام نضج فيها فكريا والف اثناءها اربعة كتب اعتمدت للتدريس بجميع المدارس الابتدائية والثانوية بالامبراطورية . وقد جذبت اليه مواهبه التربوية اهتمام المثقفين ، فقرر ان يترك التدريس من اجل وظيفة اخرى تتيح له مجالات اوسع لنشر افكاره الاصلاحية . فعين قائمقاما لمدينة في مقدونيه وتدرج في المناصب . واخيرا ترك الوظيفة الحكومية في البلقان واستقر في استنبول حيث اصدر مجلة علمية . واصبحت له في هذه الاونة علاقة قوية مع حزب الاتحاد والترقي الذي كان يطالب باعادة الدستور ، الا ان الحصري لم ينتم الى الحزب . وكان الحصري قد اصبح في مداد كبار المربين والمفكرين في الامبراطورية العثمانية على الرغم من حداثة سنه ، اذ لم يكن قد بلغ الثلاثين بعد ، عندما وقع الانقلاب الذي ازيح فيه السلطان عبد الحميد عن العرش عام ١٩٠٨ . وفي هذه المرحلة من حياته بقي متمسكا بالفكرة العثمانية ، وبمنأى عن المنادين باحياء الكيان العربي المستقل ، الا انه لم ينجرف مع التيار الذي مثلته حركة تركيا الفتاة في سعيها لتتريك الامبراطورية . ولكنه واصل في كتاباته الدعوة الى احداث تطوير على نمط اوروبي للدولة بعد ان عين مديرا لكلية المعلمين .

ويشدد كليفلند على الاتجاه العلماني للحصري ، وهو الاتجاه الذي لم يتخل عنه طول حياته ، اذ لم يؤمن بجدوى الجامعة الاسلامية ، لا في اثناء وجود الدولة العثمانية ، ولا بعد استقلال الاقطار العربية . الا ان الباحث الامريكي يشير الى الاختلاف في نظرة الحصري الى مقومات الدولة بين المرحلتين العثمانية والعربية في حياته . فهو في